المحاضرة الثانية: البحوث الكيفية

محتوى المحاضرة:

- مفهوم البحوث الكيفية
- افتراضات البحث النوعي
- خصائص البحوث الكيفية
- انتقدات البحث الكيفي

أهداف المحاضرة:

- تعريف الطالب بتسميات البحوث الكيفية وشرح مفهومها.
- كشف الطبيعة الإبستيمية والمنهجية للبحوث الكيفية.

1. مفهوم البحوث الكيفية :

تعددت تسميات البحث الكيفي والتي نذكر منها؛ البحث السياقي أو الطبيعي: على أساس أنه يهتم بدراسة الظواهر في سياقها الطبيعي، كما يسمى أيضا بالبحث التفسيري: لأنه لا يكتفي بالوصف فقط بل يتعدى ذلك للتحليل والتفسير. أما في علوم دراسات علم الانسان؛ يسمى بالعمل الميداني، ويسمى أيضا بالاثنوجرافي .(يعقوب كندرس، 2006 ، ص.25)

وتعرف البحوث الكيفية" هي نوع من البحوث العلمية التي تفترض وجود حقائق وظواهر اجتماعية يتم بنائها من خلال وجهات نظر الأفراد، والجماعات المشتركة في البحث."(عامر قنديلجي،2008،ص45).

ويعرف أيضا "الدراسة التي يمكن إجراؤها في السياق والموقف الطبيعي، حيث يقوم الباحث بجمع البيانات أو الكلمات أو الصور ثم يحللها بطريقة استقرائية، مع التركيز على المعاني التي يذكرها المشاركون، ويتم وصف العملية برمتها بلغة مقنعة ومعبرة"

(الخياط ،2001،ص 58)

وبالتالي تهدف هذه البحوث إلى فهم الظاهرة بالأساس موضوع الدراسة و عليه ينصب الاهتمام هنا أكثر على حصر معنى الأقوال التي تم جمعها أو السلوكات التي تمت ملاحظتها.(يعقوب كندرس، 2006 ، ص.25)

ومنه نستنتج أن البحث النوعي يقوم على دراسة وقراءة البيانات والأحداث بأسلوب غير كمي، بحيث لا يتم تحويل البيانات إلى أرقام كما في حال البحث الكمي، وإنما يتم الحصول على النتائج من واقع ملاحظة وتحليل الأحداث والمواقف والوثائق والاتصالات اللفظية وغير اللفظية.

2. افتراضات البحث النوعي :

ترتكز فلسفة البحوث النوعية على أن الإنسان كائن اجتماعي بطبعه ولا يمكن فصله على البيئة التي يعيش فيها وهو ما يسمى بالوجود الفلسفي "انطولوجي"، وبالتالي لا يمكن فصل سلوكه عن عاداته وتقاليده، كما أن الباحث محور أساسي في عملية البحث ويعد أداة من أدواته وهو ما يسمى بالمعرفة الفلسفية " ابستمولوجي " .

3. خصائص البحوث الكيفية:

أهم خصائص تصميم البحث الكيفي هي:(عرابي عبد القادر، 2007، ص ص70- 75)

– **الانفتاح:** إذا كانت عملية البحث الكمي مقننة و محددة فإن عملية البحث الكيفي تكون مفتوحة، المناهج الكمية مغلقة و تتحكم خطوات البحث فيها بعقل الباحث، أما المناهج الكيفية فتعتبر البحث مجالا وأفقا مفتوحا أمام الباحث و المبحوث للتعديل و التطوير إن مبدأ الانفتاح يتضمن على الصعيدين النظري و المنهجي، مجموعة من النتائج و أهمها:

- التأكيد على الوظيفة الاستكشافية للبحث الكيفي.
- التخلي عن تكوين الفرضيات مسبقا
- إن البحث الكيفي يركز على البحث الميداني الاستطلاعي و هذا ما يهمله البحث الكمي غالبا.

إن البحث الكيفي هو بحث اكتشافي إلى حد ما، اكتشاف ووصف ميدان الدراسة يكون على حساب الدراسة النظرية للموضوع و هذا مأخذ على المنهج الكيفي و إن الفرضيات يعدل و يوسع بناء على البيانات التي تم الحصول عليها في عملية البحث الميداني و عليه فإن النظريات الاجتماعية و الأنثروبولوجية لها طابع دينامي، ذلك أنها تتطور في أثناء عملية البحث على أساس البيانات القائمة.

– **البحث بوصفه متفاعلا:**إذا كانت مناهج البحث الكمي تؤكد على المسافة بين الباحث و المبحوث في عملية البحث، فإن المناهج الكيفية بخلاف ذلك تؤكد على أن عملية البحث ينبغي أن تكون عملية تفاعلية بين الباحث و بين الأفراد الذين ينتمون إلى ثقافة معينة.

– **الطابع الديناميكي بين البحث و الموضوع:** إن فهم البحث عملية تفاعل و اتصال بين الباحث و المبحوث يعني أن العلاقة بين البحث و الموضوع دينامية أي إن هذه الدينامية هي ما تميز البحث و موضوع البحث.

– **التأمل النقدي للموضوع و التحليل:** يتميز البحث الكيفي بالتفكير النقدي للموضوع أو تأمل موضوع البحث و عملية البحث، إن مبدأ التأمل بالنسبة إلى موضوع التحليل أي الظواهر و العمليات التي ينبغي دراستها يقوم على التصور النظري لمجال الموضوع ذاته، حيث إن الفرضية الأساسية للنموذج التفسيري تكمن في افتراض التأمل النقدي لمعاني منتجات السلوك البشري اللغوية (الرموز، أفعال اللغة، التأويلات اللغوية أو غير اللغوية و الإشارات و الأفعال).

– **التفسير**: يعني مبدأ التفسير أن نتوقع من الباحث بيان الخطوات المختلفة لعملية البحث بقدر الإمكان و تتحدد أيضا القواعد التي ينبغي بموجبها تفسير البيانات التي تم الحصول عليها ميدانيا و يتعين على الباحث الكيفي تفسير بياناته بشكل أفضل و ألا يقع فريسة للتكميم و الترميز، كما هو الحال في البحث الكمي، فالبحث الكيفي فكري و عقلي و ميداني، حتى الواقع الإمبريقي فإنه يبحث كإشكالية فكرية و معرفية بخلاف منهج البحث الكمي الذي يغلب عليه الطابع الآلي التقني.

– **المرونة**: يقوم الباحث في البحث الكيفي بتوجيه البحث للحصول على البيانات و التفسيرات من الحياة الاجتماعية الإمبريقية فالبحث يبقى متجدرا فيها، كما يمكن القول أن هدف البحث الكيفي يكمن في كيفية طرح المشكلة و عرضها و الحصول على البيانات المطلوبة.

4– انتقادات البحث الكيفي:

إن الدارسين لعلم المناهج أكدو على أن للبحث النوعي جوانب ضعف تتمثل في النقاط التالية: (Pfeifer,2000,p231)

– **الفاعلية**: لا يستطيع البحث النوعي دراسة العلاقات بين متغيرات بدرجة من الدقة تكفي لبناء اتجاهات اجتماعية أو لتوجيه السياسات الاجتماعية.

– **التمثيل**: يرتكز البحث النوعي على عينات صغيرة ولا يخرج بنتائج تمثيلية.

– **القابلية للتعميم**: بما أن الدراسات النوعية غير تمثيلية فإن نتائجها غير قابلة للتعميم.

– **الموضوعية**: لا يضمن منهج البحث النوعي الموضوعية ولذلك تكون النتائج غير مؤكدة.

– **الصدق و الثبات**:إجراءات البحث و بنائه لا تضمن صدق طرائق البحث و ثباتها.

– **التفسيرات**:ليست هناك طريقة تضمن سلامة فهم الباحث للمعاني والتفسيرات الحقيقية لأفراد الدراسة.

– **القابلية للمقارنة**: لا تنتج الدراسات النوعية بيانات تسمح بمقارنتها بيانات أخرى.

– **إعادة التطبيق**:إن طبيعة هذا المنهج الذاتية و الفردية لا تسمح بإعادة تطبيقها.

– **الأخلاق**: إن طبيعة البحث التي تتطلب التواصل مع المبحوثين عن قرب قد تؤدي إلى مشكلات أخلاقية.

– **جودة البيانات**: إن طبيعة طريقة جمع البيانات تؤدي إلى إنتاج كمية هائلة من المعلومات غير المفيدة.

– **غياب الإجراءات البحثية الصارمة**: عدم وجود إجراءات بحثية صارمة و الدرجة العالية من الذاتية و النسبية، تعطي الانطباع بأن كل شيء مقبول و جائز في هذا البحث.

– **الوقت**: يتطلب البحث النوعي وقتا طويلا.

– **التكلفة**: يعد البحث النوعي نسبيا مكلفا جدا.

خاتمة:

من خلال ما تم عرضه في محاضرة البحوث الكمية والبحوث الكيفية يستنتج أن كلاهما خيار للباحث وفقا لأهدافه البحثية، فما يعطي أولوية منهج عن منهج آخر هو الهدف من الدراسة ونوعها وطبيعة المجال الميداني الذي سيحدد لنا أولوية منهج عن آخر بناء عن كل دراسة قائمة بذاتها دون تعميم أولوية منهج عن آخر.

فيمكن استخدام المناهج الكمية التي توفر للباحث الأرقام والقياسات فيقوم بتحليلها وإعطائها دلالاتها، وقد يلجأ إلى المناهج الكيفية المختلفة فيستخدم اللغة الواضحة، ويلجأ إلى زيارة الموقع في أكثر من مرة ويستهدف استيضاح المعاني من خلال الواقع المعيش، إلا أنها تحتاج جهدا ووقتا أكثر من الدراسة الكمية، وبالنسبة للعينات فالأمر مختلف تماما حيث يلجأ الباحث في المناهج الكمية إلى أكبر عدد من المبحوثين في حين الباحث في المناهج الكيفية يلجأ إلى عدد قليل من الأفراد، والبحوث الكيفية في عمومها تمتاز بالمرونة أكثر من البحوث الكمية.